

ليست قناعة بل هي عدوان

آلآراء الخلافية حين تحتم في نسق وحدود التعاطي وتغذي الثراء التعددي وتسطر وجودها في موسوعة الإنسانية وتخلص إلى إظهار نعمة الحرية وملكة التخيير كهدية ربانية تأصل تفرد الإنسان في بديع الأحياء الحياتية بخاصية الاختيار المسؤول هذه المنزلة في رفعتها عن مستوى التسيير المطلق في الحقيقة ليست تلك التي تكون لها تابو وخطوط حمر تشنج العلاقات وتفعل قطع الود والرحم واحتدام أنواع ألاحتراب ' وليست هي في جوهرها من يعطي الأذن في فتح باب الانقراض المتطرف في تكويم الوزن الجائر على طرف مائل من ميزان العدل والقسط.

مهما كانت المفززات الذهنية في تلبسها بقضية إصلاحية أو دعوة حقوقية مزعومة ومهما احتوت في طرحها من معادلات رياضية فستكون في حدود عدم الطرد من المصالح المدنية المشتركة أو الجذب ألقسري لخصوصية التمييز الغيري فلا جدال بأن الكائن الإنساني له وحدة شخصية مقدسة لها حدودها المعتبرة لا ينقصها العهد الجمعي ولا يدانيها إلا بما كان من الرضا والتراضي المفوض بإعطاء جزء معين من الحرية الفردية ثمنًا لضمانه سرعة القرار في سبيل الحفاظ على الأجراء السريع الموازن في احتمالية النهوض بحراسة الفرد من خلال حراسة الكل الجمعي الموسوم بالوطن أو الأمة أو البلاد أو ما يكون من أشكال الصياغة المدنية, أما أن يتحول ذلك العهد الجمعي إلى تغول استبدادي يختطف القرار ويعبر سياج الرضي إلى فناء القهر والإلجاء ألقسري فهذا ليس من لون القناعات بل هو عدوان حقيقي مهما دلس له من نعمات الكلمات الجمالية .

نرى في الوقع المعاش ما يبهر ويشده الناظر في صور جارحة لهذه الأنواع من دعوات القناعات وحرية اتخاذ القرار المكتسبة بجلباب الرنة الإنسانية المؤنسة وإذا هي عند تكشفها تزخر بالعري الجبري العدواني ولكن بثياب الحرية المزعومة كقشرة خارجية , ونماذج التسلطات والتعدييات في ساحة الوطن العربي والعالمي من كثرتها أصبحت كالواقع المألوف بل جرى تقنينها وسبكها بهيئة دساتير مفروضة لتبرير تجاوز التسلط وقمع البغي وكأنه عهد جمعي شوروي الشكل وقهري المضمون حتى اعتمدت من لدن المستفيدين كثوايت مدنية ودينية لها منزلة القول المنزل بل قد تكون أكثر قطعية في حقيقة التعامل والتطبيق المجحف.

في قبول الفرض الواقع شاهدنا كيف تنحول الحالة العامة في دائرة مجتمعنا على منظر من القبول بالواقع الجائر لثلة ارتأت فرض تغيير الحال لصالحها بالرغم من الجميع بل وعلى من لم يركن لتقبل هذه الحركة المتطرفة حتى من داخل الأسرة , وصنعت تابو وخطوط حمراء على ذهنية الآخرين لمجرد التفكير أو البحث وتداول الفكر والرأي في هذا الباب الموصل تارة بفزاعة القناعة وطورا بالثقة العمياء .

ولكن ألفتاح المشين حين تتمخص مخرجات هذه الدعوة الجائرة عن كسر ضمانات التعايش وتأدلج لهتك الخيمة الاجتماعية وتميل بالتوازن الأخلاق إلى ما يشبه الفوضى السوقية القريبة من تكالب الحالة السبعية وتثير لخبطة التعدي والعدوان بصورة الحق والمستحق الواجب تحصيله بأية ثمن أو طريقة فيكون ذلك الجو أللجائي وتظهر لنا صور غير مألوفة تقزز السلم وتنثر مكتسبات التحصيل الاجتماعي على شوك التباعد والتحاد ومن ثم الفشل الذريع لمجتمع كان يتباهى في ما مضى بالأجودية السلوكية والشرف المعاملاتي والرفعة الإيمانية على غيرة من المجتمعات , وتكون صور الهجوم على البيوت وهتك الأعراس على عرض المساحة التواصلية في شبكة الأنترنت وضرب الممانعين لفريتهم ومئات من أنواع الخراج التسافلي إلى نمط التناول على الرموز الأصيلة وتدنيس دوائر القدسية في الطائفة بأقذع السباب والصفات وأخيرا وليس آخر ما حدث منهم في محاولة لكسر المحور الاجتماعي التليد وحرق كينونة الأبوة الاجتماعية في وجر التقول ومكننه التجاوز في وجه مركز فريد كوسيلة انتقامية لتمنع هذه الشخصية الكبيرة وترفعها عن المجارة في هذه اللعبة الغريبة.

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ وَالْوَهَّابُ الَّذِي يَنفُتُّ رُونَ ۗ {الأنعام 112

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۗ {الفرقان 31

لقد تعودت هذه الفئة المدعية على تجاوز كل الحدود مستغلة النمط المحافظ لهذا المجتمع المتوشح بنوع معين مع المثالية فباغتته بهذا التجاوز الجائر وسبقت حتى مدى الظنون والشكوك في المباغته السلبية ونكصت برجع الخطاب إلى خارج المعتاد وأسقطت ثوابت العفة والتقى في طريقها هذا وتلاعبت بالألفاظ وتجاوزت قوانين الأصول وأحكام الشرع ودلست معاني الدين فلم تبقي أي موبقة إلا وضختها في حربها على هذا المجتمع وانتهجت التزوير لتفضح عجزها عن الدليل وتثبت بإصرارها وهوسها لسرقة مستحقات الآخرين عن سابق عمد وترصد النية الشيطانية الانتقامية.

فأي اطمئنان يدعون بعد ذلك القضية ليست اطمئنان البتة لقد وضع الأمر هي هجمة توابك هجمات أخرى من أيام المقبور صدام ومرت بقصور وأواوين لعدد من الطغاة مثل ألقذافي وغيره من طغاة العالم ومرت على مجتمعنا ولا ندري أين سوف تحط رحالها بعد.

فليس هناك اطمئنان بل هو عنف صارخ وسرقة واضحة وهتك وموبقات وسقوط في الفتنة وتفريق بين الأب وأبنة والأخ وأخيه وتفريق بين الزوج وزوجه , فكانت فعال المفتنين والطواغيت والسحرة والجابرة وكل فعال أهل النار مجتمعة وكفر بنعمة الرحم وكفر بنعمة الأمن وتجاوز لكل حدود الألفة وقتل لدعة الطائفة وإشغالها في احتراب داخلي يغيض الصديق و يسر العدو .

فهل لات من قناعة أم هي عدوان وفتنة ومكيدة؟

{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوَّيَّ وَأَنَا وَطُلَاةٌ مَا فَسَّوْا فَنُصَلِّيهِمْ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عِلَاةً

اللَّهُ يَسِيرًا {النساء 30}